كرامات الأولياء في ضوء الكتاب والسنة

Dignities of the saints in the light Book and Sunnah

المدرس الدكتور عادل علاوي النعيمي

Adel Allawi Al Nuaimi

adil.a.shafi@alsalam.edu.iq

كلية السلام الجامعة - قسم الدراسات الإسلامية وحوار الاديان والحضارات

بُحُوثٌ
حَدِيثِيَّةٌ

ملخص البحث

إن كرامات الأولياء ليس فيها تجاوز لحدود العبودية لله تعالى، وإنما تحصل بمشيئته وقدرته تعالى، ويترتب عليها زيادة الإيمان به سبحانه، وصدق التوكل عليه، وليست هي ولا المعجزات قدرة ذاتية في النبي ولا في الولي، وإنما هي من الله تعالى مشيئةً وقدرة، وأهل السنة والصوفية وجمهور الأمة، على إثبات كرامات الأولياء، حيث أن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ، ولا فرق بينهما، إلا أن النبي يتحدّى بخرق العادة ليثبت نبوته، والولي يتحدّى ليدلل على صدق منهجه في اتباعه لنبيه ولم يكن له اقتران بدعوى النبوة، ونسب هذا القول إلى جمهور العلماء.

فمذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء والصالحين وأنها موجودة مستمرة في الإعصار ويدل عليها دلائل العقول وصرائح النقول، واليوم تظهر كرامات الأولياء مماثلة لظروف العصر ومعطياته وإيمان البشر بمستجدات العلوم العصرية وما أنتجته المدنية الحاضرة من اختراعات في مجالات الطب وصناعة الكهرباء وغيرها، فكرامات الأولياء في هذا العصر تقف صامدة أمام التحقيق العلمي والتحليل المختبري والتصوير الشعاعي، وتنهار أمام حقيقتها العلمية كل الخدع البصرية التي لا وجود لها على أرض الواقع، بل ويتهافت دونها كل ما اعتاد الناس على نسبته إلى عمل ساحر أو شيطان مارد، وتبقى فقط الأعمال الخارقة التي يكتب لها الدوام والاستمرار.

إن «ظاهرةً خارقةً» واحدة يمكن أن نُقدِّمَها لهذا العقل حتى نضطرَّه إلى الإقرارِ، وذلك من بعدِ أن يتسنَّى له أن يتثبَّتَ من أنها «ظاهرةٌ خارقةٌ» حقاً، بأَنَّها لا يمكنُ أن تكونَ «حالةً استثنائيةً»، وأنها تقتضي منه بالتالي أن يُعيدَ النظرَ في تصورِه لهذا الوجود إعادةً تُوجِبُها الحقيقةُ التي مفادُها أنَّ حدوثَ هذه «الظاهرةِ الخارقةِ» ينبئُ لا محالة بأنَّ

هنالك إمكانيةً لحدوثِ ما ليس بالإمكان إحصاؤه من هذا النمطِ من ظواهر الوجود.

وهذه المقدمة تكفي العاقلَ الحصيف حتى يُدركَ أنَّ واحدةً فحسب من كراماتِ أولياءِ الله في هذا الزمان تكفي لتُقيمَ الحجةَ على «العقلِ العلمي» بأنه قد نأى بنفسِهِ بعيداً عن «المنهجِ العلمي» الذي بتقيَّدهِ به وُصِف بأنه «عقلٌ علمي»، وذلك يوم أنكر إمكانيةَ أن يكونَ في هذا الوجودِ من الظواهر ما يخرقُ قوانينَ العلم، وهذا ما يستدعي وجوبًا أن يُعيدَ النظرَ في تصورِه لما هو عليه هذا الوجود .

ABSTRACT

The high-mindedness of guardians does not involve transgressing the limits of worship to God Almighty، rather it is achieved by His will and ability، the Most High، and it leads to an increase in faith in Him، Glory be to Him، and sincerity of reliance on Him. And the Sufis and the majority of the ummah، on proving the high-mindedness of the saints، as everything that may be a miracle for a prophet may be the charism of a guardian، and there is no difference between them، except that the Prophet is challenged by breaking the natural norm to prove his prophethood، and the guardian is challenged to demonstrate the sincerity of his approach in following his Prophet and he did not have a connection on the pretext of prophethood. This saying is attributed to the majority of scholars.

The doctrine of the people of truth is to affirm the high-mindedness of the saints and the righteous and that they exist and continue in the hurricane and are indicated by the evidence of intellects and explicit sayings.

Today، the charisms of the saints appear similar to the conditions and data of the era and the belief of human beings in the developments of modern science and the inventions produced by the present civilization in the fields of medicine، electricity industry and others. It does not exist on the ground; rather، everything that people used to attribute to the work of a sorcerer or a rebellious demon is floundering، and only the miraculous works that are permanent and continuous remain.

There is only one >supernatural phenomenon< that we can present to this mind in order to force it to admit، after it has been able to verify that it is a truly >supernatural phenomenon<، that it cannot be an >exceptional case<، and that it therefore requires him to reconsider the conception of this existenc necessitated by the fact that the occurrence of this >paranormal phenomenon< inevitably foretells that there is a possibility of the occurrence of what cannot be counted from this type of phenomenon of existence.

This introduction suffices the prudent sane person to realize that only one of the honors of God’s guardians in this time is sufficient to establish the argument against the >scientific mind< that one has distanced oneself from the >scientific method< by which he was described as a >scientific mind<، and that day he denied the possibility that there are phenomena in this existence that violate the laws of science، and this is what necessitates a reconsideration of its conception of what this existence is in reality.

مقدمة

الكرامة تكريم الحق عز وجل للعبد، فالولي بلجوئه إلى الله تعالى لدفع كربة، أو تيسير عسير، أو تقريب بعيد، ونحوها، فهي - كرامته - بذلك لا ترفع صاحبها عن مقام العبودية.

ومن ذلك ما هو مشهور في سير وتراجم الصحابة والتابعين وتابعيهم (رضي الله عنهم) الى يوم الدين، ونكتفي هنا بما يسمح به المقام بما ورد في ترجمة الصحابي الجليل البراء بن مالك (رضي الله عنه)، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: روى التّرمذيّ من طريق ثابت وعلي بن زيد، عن أنس أن النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم قال: ربّ أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على اللَّه لأبرّه، منهم البراء بن مالك ـ فلما كان يوم (تستر) من بلاد فارس انكشف الناس، فقال المسلمون: يا براء، أقسم على ربك! فقال: (أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيّك)، فحمل وحمل الناس معه فقتل (مرزبان الزّارة) من عظماء الفرس، وأخذ سلبه، فانهزم الفرس، وقتل البراء. اهـ. والمقصود أن كرامات الأولياء ليس فيها تجاوز لحدود العبودية لله تعالى، وإنما تحصل بمشيئته وقدرته تعالى، ويترتب عليها زيادة الإيمان به سبحانه، وصدق التوكل عليه، وليست هي ولا المعجزات قدرة ذاتية في النبي ولا في الولي، وإنما هي من الله تعالى مشيئةً وقدرة، ومن أمثلة ذلك قصة عمران بن حصين المشهورة في تسليم الملائكة عليه، ثم تركها للتسليم برغم رغبته فيه، حيث قال رضي الله عنه: كان يُسلَّم عليَّ حتى اكتويت، فتُرِكْت، ثم تَرَكْتُ الكيَّ فعاد. رواه مسلم.

وأهل السنة والصوفية وجمهور الأمة، على إثبات كرامات الأولياء، حيث أن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ، ولا فرق بينهما، إلا أن النبي

يتحدّى بخرق العادة ليثبت نبوته، والولي يتحدّى ليدلل على صدق منهجه في اتباعه لنبيه ولم يكن له اقتران بدعوى النبوة، ونسب هذا القول إلى جمهور العلماء، وممن صرّح به النووي في شرح صحيح مسلم، والجويني في الإرشاد

فمذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء والصالحين وأنها موجودة مستمرة في الإعصار ويدل عليها دلائل العقول وصرائح النقول، فدلائل العقول تؤكد الى أنها أمر يمكن حدوثه ولا يؤدي وقوعه الى رفع أصل من أصول الدين، وأما النقول فآيات في القرآن الكريم وأحاديث مستفيضة تثبت حصولها......واليوم تظهر كرامات الأولياء مماثلة لظروف العصر ومعطياته وإيمان البشر بمستجدات العلوم العصرية وما أنتجته المدنية الحاضرة من اختراعات في مجالات الطب وصناعة الكهرباء وغيرها ... فكرامات الأولياء في هذا العصر تقف صامدة أمام التحقيق العلمي والتحليل المختبري والتصوير الشعاعي، وتنهار أمام حقيقتها العلمية كل الخدع البصرية التي لا وجود لها على أرض الواقع، بل ويتهافت دونها كل ما اعتاد الناس على نسبته إلى عمل ساحر أو شيطان مارد، وتبقى فقط الأعمال الخارقة التي يكتب لها الدوام والاستمرار

ولكن«العقلُ العلمي» بالرغم من إصراره على رفضِ قبولِ إمكانيةِ أن يكون هنالك في الوجود ظواهر تستعصي على العلم فتأبى أن تُمكِّنَه من أن يُعلِّلَ لها وفقاً لما تأتّى له أن يُحيطَ به من قوانينِ هذا الوجود! إلا أن الأمرُ لا يحتاج منا سوى أن نُقدِّمَ لهذا العقل «ظاهرةً خارقةً» واحدة حتى نضطرَّه إلى الإقرارِ، وذلك من بعدِ أن يتسنّى له أن يتثبَّتَ من أنها «ظاهرةٌ خارقةٌ» حقاً، بأنَّها لا يمكنُ أن تكونَ «حالةً استثنائيةً»، وأنها تقتضي منه بالتالي أن يُعيدَ النظرَ في تصورِه لهذا الوجود إعادةً تُوجِبُها الحقيقةُ التي مفادُها أنَّ حدوثَ هذه «الظاهرةِ الخارقةِ» ينبئُ لا محالة بأنَّ هنالك إمكانيةً لحدوثِ ما ليس بالإمكان إحصاؤه من هذا النمطِ من ظواهر الوجود.

وهذه المقدمة تكفي العاقلَ الحصيف حتى يُدركَ أنَّ واحدةً فحسب من كراماتِ أولياءِ الله في هذا الزمان تكفي لتُقيمَ الحجةَ

على «العقلِ العلمي» بأنه قد نأى بنفسِه بعيداً عن «المنهجِ العلمي» الذي بتقيّدِه به وُصِف بأنه «عقلٌ علمي»، وذلك يوم أنكر إمكانيةَ أن يكون في هذا الوجودِ من الظواهر ما يخرقُ قوانينَ العلم، وهذا ما يستدعي وجوبًا أن يُعيدَ النظرَ في تصورِه لما هو عليه هذا الوجود، وذلك على قدرِ تعلُّقِ الأمر بما هو جائزُ الحدوث وليس ما «يستحيلُ حدوثُه». فواحدةٌ من «كرامات الشفاء الخارق»، والتي تجرى في سياق له صلة بالتصوف، تكفي لذلك وصلى الله تعالى على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

- الكرامة لغة واصطلاحا
- في الكتاب والسنة
- أقوال العلماء
- من كرامات آل البيت عليهم السلام
- من كرامات الصحابة
- الكرامات في العقل وَرَدِّ الشبهات
- الكرامات فرع من خوارق العادات
- الكرامات والحضارة العصرية
- الكرامات بعد انتقال المشايخ

الكرامة لغة واصطلاحًا

الكرامة لغة: اسم من الإكرام والتكريم تقول أكرمت العالم وكرمته إكراماً وتكريماً إذ فعلت معه ما يدل على تعظيمه واحترامه، وقال الفراهيدي: والكرامة اسم للإكرام[(١)].

والكرامة اصطلاحاً: هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مؤمن صالح غير مقرون بدعوى النبوة[(٢)].

في الكتاب

والكتاب ناطق بظهورها كتساقط الرطب على السيدة مريم من نخلة يابسة يُعد من الكرامات وأنها ليست نبيّة وإنما أجمع العلماء على ولايتها، وكذلك ظهور الطعام والشراب واللباس لديها كلما احتاجت لذلك، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ ﴾ [آل عمران:٣٧]. وقطع المسافات البعيدة في المدة القليلة كإتيان صاحب سليمان عليه السلام (وهو آصف بن برخيا على الأرجح) بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف مع بُعد المسافة وهو ليس نبيا ، قوله تعالى: ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ [النمل:٤٠]، والمشي على الماء ، كما نقل عن كثير من أمثال العلاء الحضرمي وأبي مسلم الخولاني[(٣)]، وفي الهواء كما نقل عن جعفر بن أبي طالب[(٤)] ولقمان

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٥، ط٢، ١٤١٠هـ، مؤسسة دار الهجرة، ص١٣٦٨ .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، مطبعة مدبولي، ط١، ١٩٩٠م، القاهرة، ص١٠٢.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، دار الفكر، ١٩٨٦م، بيروت، ج٦، ص٢٥٩-٢٦١ .

(٤) المناوي، محمد عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦٢ .

السرخي وغيرهم[1] .

في السنة

ثبت في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: أنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، قال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما ، أي لا أقدم في شرب اللبن عليهما أهلاً أو مالاً فتأتى بي طلب سحر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن اغبق لمن قبلهما أهلاً ولا مالاً فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى بَرق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج » . قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « قال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحبُ الناس إليَّ ، فراودتها عن نفسها فامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني وأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحلُ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحبُ الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها » ، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: « قال الثالث: اللهم استأجرت أُجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره ، حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين فقال لي: يا

(١) الحلبي، محمد بن سليمان، نخبة اللآلي شرح بدء الأمالي، مكتبة الحقيقة، ١٩٩٦م، اسطنبول، ص٧٤ .

عبد الله أدِّ لي أجري ، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت: إني لا استهزئ بك ، فأخذه كله فاّستاقه فلم يترك منه شيئاً ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون » . وقد ورد هذا الحديث في البخاري ومسلم(١) .

في هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء واثبات التوسل بصالح الأعمال ، وهو متفق عليه .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس إن أسيد بن حُضير ورجلاً من الأنصار ، تحدثا عند رسول الله ﷺ حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل منهما عصاه ، فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر فمشى كل منهما بضوء عصاه حتى بلغ أهله(٢) . وفيه كرامتان لهذين الصحابيين رضي الله عنهما .

واخرج أبو النعيم عن طريق أبي سليمان الرومي سمعت خليل الصياد يقول: غاب ابني محمد فجزعت أمه عليه جزعاً شديداً ، فأتيت معروفًا الكرخي قدس الله سره فقلت: يا أبا محفوظ ، قال: ما تشاء ؟ قلت ابني محمد غاب وجزعت أمه عليه جزعاً شديداً فادع الله

---

(١) العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، ١٣٧٩ه، بيروت، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، رقم (٣٢٧٨)، ومسلم، صحيح مسلم، برقم (٢٧٤٣) .

(٢) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٨م، بيروت، رقم (٢٠٣٠)، والهيثمي، ابن حجر، (٧٠٧/ ١)، وعبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي الهند، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣ه، بيروت، كتاب: الجامع، باب: ما يعجل لأهل اليقين من الآيات، برقم (٢٠٤١) .

أن يرده عليها ، فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك فآت به ، قال خليل فأتيت باب الشام – مكان في بغداد – فإذا ابني محمد قائم منبهر قلت محمد ؟! قال أبتي كنت الساعة بالأنبار[1] .

معجزات الأنبياء تتفق مع جنس إيمان الأمم

كل نبي أعطي ما مثله آمن عليه البشر في عصره، فمثلاً قوم سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ ، كانوا يؤمنون بالكواكب ويتخذونها أرباباً ، ويعبدون النار ويتطلعون إلى الفضاء فجاءت معجزة سيدنا إبراهيم متفقة مع جنس إيمانهم في إحياء الموتى والوقوف في النار وتبعتها أمة سيدنا موسى ﷺ حيث كانوا يؤمنون بالسحر والكهانة فجاءت عصا موسى لتخرق إيمانهم بمعجزة من الله تعالى لتبدد صنعهم فأول من آمن به السحرة لأنه جاءهم بعمل أقوى من سحرهم .

وقوم عيسى ﷺ يؤمنون بالطب والاستطباب والصور ونحت الهيئات والتماثيل ، فجرى على يده إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ويصنع من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله وهذا جنس عملهم .

والعرب نواديهم وشعرائهم وفصاحتهم وبلغاؤهم فهم يؤمنون ويتسابقون

(١) الأصفهاني، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٨، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٥هـ، ص٣٦٢ .

بالبلاغة[1] والشعر والفصاحة[2] والبيان[3] ويقوم بينهم السباق والنزاع أحياناً ؛ فنزل القرآن الكريم على لسان النبي الأمي وأعجزهم أن يأتوا بآية من مثله فانعقدت ألسنتهم عن مناقشته فخضعوا لبلاغته وصمتوا لفصاحته[4] .

أقوال العلماء

قال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي في كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف في الباب السادس والعشرين منه ما نصه: اجمعوا على إثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء وكلام البهائم وطي الأرض وظهور الشيء من غير موضعه ووقته ، وقد جاءت بها الأخبار وصحت بها الروايات ونطق بها التنزيل[5] .

وقال الإمام القشيري في الرسالة: ظهور الكرامات على الأولياء جائز والدليل على جوازه أنه أمرٌ حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول ، فوجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده وإذا وجب كونه مقدوراً لله تعالى فلا شيء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله فمن لم يكن

(١) البلاغة: مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال . المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٠ .

(٢) الفصاحة: معناها الإبانة والظهور . الرازي، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط٥، ١٩٩٩م، بيروت ، ص٢٤٠، والجوهري، أبو عمر إسماعيل بن عماد، الصحاح تاج اللغة، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م، بيروت، ج١، ص٣٩١ .

(٣) البيان: الإفصاح مع ذكاء وأصله الكشف والظهور ما بيّن من شيء يشرح به المجمل والمبهم . أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨م، بيروت، ص٩٥٨ .

(٤) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، مرجع سابق، ص١٠٨ .

(٥) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، بيروت، ص٧٩ .

صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز[1] .

وقال الإمام النووي في بستان العارفين: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء وأنها واقعة موجودة مستمرة في الإعصار ، ويدل عليها دلائل العقول وصرائح النقول، أما دلائل العقل فهي أمر يمكن حدوثه ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه وما كان مقدوراً كان جائز الوقوع، وأما النقول فآيات في القرآن العظيم وأحاديث مستفيضة[2] .

وفي العقائد النسفية للعلامة نجم الدين النسفي وشرحها للعلامة سعد الدين التفتازاني ما نصه (وكرامات الأولياء حق)[3] ، والدليل على حقيقة الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لا يمكن إنكاره ، وخصوصاً الأمر المشترك وان كانت التفاصيل آحادا[4] .

جاء في كتاب اليواقيت والجواهر ما قاله الشيخ عزالدين بن عبدالسلام سلطان العلماء بمصر في عصره: كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التي لا تزلزل، ويؤيد ذلك ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ ؛ إلا إذا سلك طريقهم[5] .

(١) القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، ت: عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف، دار المعارف، د.ت، القاهرة، ص٥٢٠ .

(٢) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، بستان العارفين، ت: محمد الحجار، ٢٠٠٦، باب كرامات الأولياء، دار البشائر الإسلامية، ط٦، د.م، ص٥٩ .

(٣) ابن عابدين، محمد بن عمر، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، ط٢، ١٩٩٢م، بيروت، ج٣، ص٦٠٥ .

(٤) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، مرجع سابق، ص١٠٤-١٠٦.

(٥) التجاني، أبو العباس، بغية المستفيد لشرح منية المريد، ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب

وقال اللقاني في الجوهرة[1] :

واثبـتـــنَّ لــلأوليـا الكـرامـة ومـــنْ نَـفـاهـا فـانبـذن كلامـه

ونصوص العلماء في هذا كثيرة جداً نكتفي منها بما ذكرناه.

من كرامات آل البيت عليهم السلام

لقد كان وما زال لآل البيت النبوي الشريف سلام الله عليهم أجمعين كرامات وأعمال خارقة يعجز عنها من لم تكن له تلك العناية الإلهية الخاصة وذلك التكريم الرباني العظيم، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى:٢٣]، ومن هذه الكرامات :

* إن الإمام علي كرم الله وجهه رفع باب خيبر في يده يعجز عن رفعه عدة رجال وذلك في معركة خيبر، وكان ذلك في حياة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم[2] .

* وعن عبد الله بن عطاء المكي قال اشتقت إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام وأنا بمكة فقدمت المدينة ما قدمتها إلا شوقاً إليه فأصابني في تلك الليلة مطر وبرد شديد فانتهيت

العلمية، ٢٠١٥م، بيروت، ص١٧ .

(١) اللقاني، برهان الدين إبراهيم، شرح الناظم على الجوهرة، ت: مروان حسن عبد الصالحين البجاوي، دار البصائر، ط١، ٢٠٠٩م، القاهرة .

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه، بيروت، ج٢، ص٥٠٢، والنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الكبرى للنسائي ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م، بيروت، ج٥، ص١١٠، الحاكم، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، بيروت، ج٣، ص٤٣٧، وأبن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩ه، الرياض، ج٨، ص٥٢١ .

إلى بابه بعد منتصف الليل فقلت أطرقه الساعة أو انتظر حتى يصبح ؟ وبينما أنا أفكر سمعته يقول يا جارية افتحي الباب لابن عطاء فقد أصابه الليلة برد وأذى[١] .

* وعن شعيب القرقوفي قال دخلت أنا وعلي بن حمزة وأبو البصير على أبي عبد الله الصادق عليه السلام ومعي ثلاثمائة دينار فصببتها قُدامه فأخذ منها قبضة ورد الباقي عليَّ وقال يا شعيب رد هذه المائة دينار إلى موضعها الذي أخذتها منه فلما خرجنا من عنده قال أبو بصير يا شعيب ما حال هذه الدنانير التي ردّها عليك ؟ قلت أخذتها من عروة أخي سراً وهو لا يعلمها قال شعيب فلما عددنا الدنانير وجدناها مائة دينار كاملة[٢] .

كرامات الصحابة

* إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أخبر قبل وفاته انه ستولد له مولود أنثى بعد وفاته فكان كذلك .

* وصاح عمر بن الخطاب رضي الله عنه (يا سارية الجبل) وهو على المنبر في المدينة وسارية في نهاوند [مدينة إيرانية غربي كرمنشاه] فسمعه سارية ونفذ أمره ، كما ألقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاباً في النيل وكان يفيض فيغرق المزروعات فنقص النيل كثيراً حتى خاف الناس فألقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه كتاباً أخر يقول: «إن كنت تجري من قِبَلِكَ فلا حاجة لنا بك وان كان الله يجريك فنسأله ذلك»، فعاد النيل إلى جريانه الاعتيادي[٣].

* وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه «ما بالُ أحدكم يدخل عليَّ وفي عينيه أَثر الزنا»، قال هذا

(١) الأربلي، أبو الحسن بهاء الدين علي بن عيسى، كشف الغمة بمعرفة الأئمة، دار الأضواء، ط٢، ١٩٨٥م، بيروت .

(٢) المصدر السابق .

(٣) العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٥ .

لرجل رأى امرأة في الطريق فتأملها بشهوة[١] .

* ومشى جعفر بن أبي طالب في الهواء وشرب خالد بن الوليد السم فلم يضره[٢] .

* وكان سعد بن أبي وقاص إذ دعا استجاب الله دعائه وكان البراء بن عازب من الصحابة إذا أقسم على الله أبره وكان خُبيب بن عدي أسيراً عند المشركين ويأتيه العنب في غير وقته[٣] .

* وقد أضاء سوط أُسيد بن حُضير لما خرج من عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حتى وصل إلى داره[٤] .

* وكان عامر بن قيس الصحابي العابد يأخُذ العطاء فلا يجد سائلاً إلا أعطاه فيعود إلى بيته والدراهم كاملة[٥] .

في العقل

أما دلائل العقل :

١- فهي أمر يمكن حدوثه ولا يؤدي وقوعه الى رفع أصل من أصول الدين .

٢- من الواجب وصف الله تعالى بالقدرة، وما كان مقدورا كان جائز الوقوع .

الفرق بين السحر والكرامة

لعل من أوضح الفروق بين الكرامة والسحر:

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، ص٣٩٣ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب: صفة الصلاة، رقم (٧٥٥) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ط١، ١٩٩٤م، بيروت، ج٣، ص٨٨، والعسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٥ .

١ - اختلاف حال الولي عن حال الساحر، فالولي ظاهر الصلاح، مشهور بالديانة، والمحافظة على الطاعات، واجتناب المنكرات، بخلاف الساحر فهو معروف بالفسق والدجل، وارتكاب المحرمات والموبقات .

٢- كما أن السحر يحصل بعد استعانة الساحر بالشياطين، وأما الكرامة فتحدث بمحض تفضل من الله تعالى .

٣- إن السحر لا يظهر إلا على فاسق معلن بفسقه، والكرامة تظهر على الرجل الصالح الذي يشهد بصلاحه فكلما أراد إخفاء نفسه أظهره الله على خلقه لأجل إصلاح غيره به .

٤- أن الهدف من حصول كرامات الأولياء استمرار الدلائل على تمام قدرة الله تعالى، وأنه فعال لما يريد، وأن لله سننا أخرى تعلو فوق هذه السنن الكونية، وتتدخل فيها وتبطل قوانينها متى شاءت إرادة القادر المختار.

٥- إن السحر هو تخييل يرجع إلى خفة في اليد، أو يرجع إلى الشعوذة، والساحر إنما يؤثر في أعين الناس فيجعلها ترى أشياء لا حقيقة لها في واقع الأمر .

٦- إن الكرامة حقيقة تؤثر في ذوات الأشياء، كما أنه تستحيل معارضتها والرد عليها بكرامة أخرى، بينما السحر تخييل يتعامل مع الأعين لا مع الأشياء، وهو علم يمكن أن يتعلم ويعارض بمثله .

٧- إن السحر لا يقلب حقائق الأشياء ولا يغيرها ولا يؤثر فيها، وإنما هو تخييل يحدث للرائي وليس له أي مقابل موضوعي في واقع الأشياء .

٨- هدف الساحر جمع الأموال بطريق خارج عن الشرع وفي الغالب يُفَرِّق بين المرء وزوجه ويُلقي العداوة والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد وينشر الرذيلة وذلك امتثالا لما تُلقي عليه الشياطين من توجيهات وأوامر.

وبهذا يتبين لنا البون الشاسع والفرق الكبير بين كل من الكرامة والسحر.

الفرق بين المعجزة والكرامة

أن الهدف من حصول كرامات الأولياء استمرار الدلائل على تمام قدرة الله تعالى، وأنه تعالى فعّال لما يُريد، وأن لله سننا أخرى تعلو فوق هذه السنن الكونية، وتتدخل فيها وتبطل قوانينها متى شاءت إرادة القادر المختار سبحانه، والتصديق بكرامات الأولياء، وما يجريه الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات في السنن والقوانين الطبيعية التي وضعها في هذا الكون، لهو دليل ساطع على استمرار القدرة الإلهية وذلك بوقف تلك القوانين وخرقها لعادة استمراريتها .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي: المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ، ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة[1] .

والحاصل أن الأمر الخارق للعادة هو بالنسبة الى النبي ﷺ معجزة سواء ظهرت في زمنه أو بعد زمن نبوته أو من قِبَل آحاد من أمته ، وهي للولي كرامة له، لخلوه عن دعوى النبوة[2] .

فالكرامات هي أعمال خارقة للعادة والطبيعة يقوم بها أولياء الله من السالكين أو مُريديهم ويظهرها الله سبحانه وتعالى على أيدي هؤلاء الصالحين تكريماً لهم وليس بإمكان المُريد عمل شيء منها مالم يستمد من بركة الشيخ ويتوسل بجاهه عند الله ، وقوة الكرامة تعتمد على درجة أو مرتبة الشيخ في الإدراك فما يقوم به الشيخ الفلاني قد يعجز عنه

(١) النووي، بستان العارفين، باب في كرامات الأولياء ومواهبهم، ص٦٣ .

(٢) المصدر السابق، ص١٤٠ .

غيره الذي يسلك نهجاً غير هذا النهج برغم اجتماع الطرق واتصالها جميعاً بحضرة الرسول ﷺ ولكن الفتح الرباني للعباد السالكين يختلف باختلاف اجتهادهم في السلوك والعبادة[1] .

فكرامات الأولياء في هذا العصر تقف صامدة أمام التحقيق العلمي والتحليل المختبري والتصوير الشعاعي، وتنهار أمام حقيقتها العلمية كل الخدع البصرية التي لا وجود لها على أرض الواقع، بل ويتهافت دونها كل ما اعتاد الناس على نسبته إلى عمل ساحر أو شيطان مارد ؛ وتبقى فقط الأعمال الخارقة والتي يُكْتَبُ لها الدوام والاستمرار، فقد أثبت المشايخ الكرام حقيقتها باللمس والنظر، وقد دحضت كرامات مشايخ الكسنزان كل التحليلات النفسية والتأثيرات المغناطيسية وصور الأشعة وثبت للجميع أن الحراب تخترق الأكباد وأن الخناجر تدخل في الرؤوس حقاً وحقيقة وأن التأثير الروحي للشيخ والرابطة الروحية بينه وبين مُريديه بعيدة كل البعد عن التأثير المغناطيسي ؛ وإنما هي لمسة روحية إلهية مستمدة من نور الله متصلة على شكل سلسلة مع حضرة الرسول ﷺ[2] .

رد الشبهات

شبهة:

يعترض منكروا الكرامات في هذا العصر ويقولون: إن ما ترونه عن الأولياء لم يحصل كثيراً منه للأنبياء ، وقد كانوا أولى بذلك[3] .

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ط٢، د.ت، مطابع الأديب البغدادية، بغداد، ص٢٠٤-٢٠٥ .
(٢) المرجع السابق، ص٢٠٥ .
(٣) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص١٠٧ .

الرد :

هذا جهل أو تجاهل من هؤلاء المعترضين لأن من المعلوم بالضرورة انه ليس من شرط النبي أن يأتي بجميع الخوارق أو أكثرها وإنما شرطه أن يأتي بما يكون دالاً على نبوته ، وهذا هو ما حصل للأنبياء عليهم السلام، فإذا ظهرت كرامة على وليّ كانت معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإنما لم تحصل له مباشرة لحصول الكفاية بغيرها من المعجزات العظيمة خصوصاً القرآن العظيم الذي أعجز الخلائق أجمعين وهذا واضح لمن أنصف وطرح التعصب جانباً والله ولي التوفيق[١] .

شبهة :

من الناس من يقول لو كانت الكرامة جائزة لكانت واقعة وكثيرة في زمن الصحابة لأنهم أفضل الأمة[٢] .

الرد: في الفتاوى الحديثية للشيخ ابن حجر الهيتمي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال: لأن أولئك كان إيمانهم قوياً فلم يحتاجوا إلى زيادة مقوّ بخلاف من بعدهم فقووا بزيادة الكرامات .

وعن الشهاب السهروردي: لأنهم ببركة رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومشاهدته مع نزول الوحي ، تنورت بواطنهم وتزكت نفوسهم ، واتصلت مرآة قلوبهم فاستغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامة، واستماع أنواع القدرة، وخرق العادة قد يكاشف به لضعف يقين المكاشف رحمة ناجزة وثوابًا معجلًا لبعض العباد، وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحجب عن قلوبهم وباشرت بواطنهم روح اليقين وصِرْف المعرفة، فلا حاجة لهم رؤية

(١) المرجع السابق، ص١٠٧-١٠٨ .
(٢) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٥٢٠ .

خارق[1].

وعن اليافعي: أن الصحابة كانوا أهل حق وعدل ومن جاء بعدهم بضدهم فبعث الله في سائر البلدان رجالًا قلَّدهم سيوفا ماضية قطعوا فيها مواد الفساد والبدع والمخالفات[2].

الكرامات فرع من خوارق العادات[3]

الخوارق هي عمل أشياء خارجة عن حدود تصور العقل البشري أو كسر قوانين اعتاد الناس عليها والفتها الطبيعة البشرية والإتيان بما هو مخالف لها وتقسم إلى أربعة أقسام:

١- أعمال خارقة للعادة يستحيل على البشر الإتيان بها إذا اعتمد على قوته وحده وهي من الله ﷻ يجريها يد أنبيائه لإظهار صدقهم وتكون مقرونة بدعوى النبوة وتسمى (معجزات).

٢- أعمال خارقة أيضاً يجريها الله ﷻ على يد أوليائه تكريماً لهم ولإظهار صدق صلاحهم ولا تقرن بدعوى النبوة وتسمى (كرامات).

٣- أعمال غريبة الحدوث يجريها الله ﷻ على يد أعدائه لإظهار كذبهم في دعواهم وتأتي مخالفة لطلبهم وتسمى (إهانات) كما حدث لمسيلمة الكذاب حين تفل في عين أرمد طلباً لشفائه فعميت وتفل في بئر مالح فغار الماء وجف البئر ومسح رأس يتيم فصار اقرعاً.

---

(١) الهيتمي، أحمد شهاب الدين بن حجر، الفتاوى الحديثية، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، ج١، ص٧١٥، والكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص٨٢-٨٣ .

(٢) الهيتمي، بن حجر، الفتاوى الحديثية، ج١، ص٧١٥ .

(٣) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص٢٠٤-٢٠٥ .

٤- أعمال خارقة يجريها الشيطان على يد أوليائه ليضلهم عن السبيل وتأتي حسب طلب القائم بها وتسمى (استدراجات) فان استعمل فيها تعاويذ واستخدم فيها جان فهي سحر والعمل به كفر لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

٥- والمعونة: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد بعض العوام تخليصًا له من شدة . قال ابن عساكر: خرج رجل من الصالحين التجار في ناحية على بغل، فاعترض له لص فأخرجه إلى الصحراء، وأخرج سكينهُ ليذبحه فقال للص: أسألك بالله أن تتركني، قال: لا والله، قال: أسألك بالله أن تتركني لأصلي ركعتين لتكون آخر عهدي بالدنيا، قال: قم فصلِّ، فتوضأ الرجل وصلى فلم يدرك ولا آية إلا قوله سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل:٦٢]، فهتف من قلبه إلى الحي القيوم، قال: يا من يجيب المضطر إذا دعاه ! يا من يجيب المضطر إذا دعاه، يا من يجيب المضطر إذا دعاه! قال: فإذا بفارس على فرس نزل من السماء، فأرسل خنجراً فقتل السارق، قلت: من أنت؟ قال: أنا رسول من يجيب المضطر إذا دعاه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] . وهؤلاء الجنود يتكررون، فقد نزلوا في بدر، وفي أحد، وفي كل معترك بين التوحيد والإلحاد، وهؤلاء الجنود لله الواحد الأحد ينصر بهم أولياءه، قال: لما دعوت الدعوة الأولى كنت في السماء السابعة، ولما دعوت الثانية كنت في الرابعة، ولما دعوت الثالثة وصلت إلى الأرض لأقتل هذا المجرم(١) .

« كان في بني إسرائيل رجلٌ يُقال له جُرَيْج، كان يصلي، جاءته أُمُّه فدعتْه، فقال: أُجيبها أو أصلِّي؟ فقالتْ: اللهم لا تُمِته حتى تُرِيَه وجوه المومسات، وكان جريج في

(1) https://www.lawoflibya.com/forum/archive/index.php/t-81815.html (1)

صَوْمعته، فتعرَّضتْ له امرأة وكلَّمتْه، فأبى فأتتْ راعيًا فأمكنتْه من نفسها، فولدتْ غلامًا، فقالتْ: مِن جُرَيْج، فأتوه فكَسروا صومعته، وأنزلوه وسبُّوه، فتوضَّأ وصلَّى، ثُمَّ أتى الغلام، فقال: مَن أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذَهَبٍ، قال: لا، إلا من طين[1]».

٦- إرهاص: (اسم) وهو مصدر أَرْهَصَ، ويعني الإثبات، يقال: أرهص الشيء: إذا أثبته وأسسه . وأصله من الرهص، وهو: تأسيس البنيان، ومنه إرهاص النبوة، سمي بذلك ؛ لأنه تأسيس لقاعدة النبوة ودال على البعثة في المآل. الإرْهاص (شَرْعًا): أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى قبل بعثة نبي، يكون من مقدمات النبوة، ومن أمثلتها: الخوارق التي حدثت في مولده صلى الله عليه وسلم، وما شاهدته حليمة السعدية من تيسير الرزق والبركة، وحادثة شق الصدر، وما حدث أثناء سفره إلى الشام، وغير ذلك كلها تسمى إرهاصات، وأما التي تقع بعد النبوة فتسمى آيات ومعجزات[2] .

الكرامات والحضارة العصرية

من المعلوم أنه يتوجب على الولي إخفاء الكرامة إلا عند الضرورة، أو يكون له الإذن

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، رقم: (٣٤٣٦)، ومسلم، صحيح مسلم، رقم: (٢٥٥٠).

(٢) ابن فارس، أحمد بن زكريا الرازي، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، بيروت، ج٢، ص٤٤٩، وابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، ١٩٧٩م، بيروت، ج٢، ص٢٨٢، والزبيدي، أبو الفيض مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م، الكويت، ج١٧، ص٦٠٥، والشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، المطبعة الوهبية، ١٢٨٣ ه، مصر، ص ١٦، والتهانوي، محمد بن علي بن القاضي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: د. علي ممدوح، ترجمة: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م، بيروت، ج١، ص١٤١ .

في إظهارها عند غلبة حال لا يكون له فيها اختيار، أو تقوية يقين مريد، أو موقف فيه تحدي يستوجب إظهار برهان وحجة للمنكر أو الملحد[1]، وإلا فقد دأب الأولياء منذ البداية في سلوكهم على الاحتفاظ بكراماتهم سِرّية بسبب الحياء الذي كان ينتابهم ومنعاً لسوء الظن بهم من قبل الآخرين ، ولكن - وكما قلنا - يجوز للولي إظهار كرامته إذا كان هناك سبب يدعو إلى ذلك كزيادة اعتقاد المُريدين أو تثبيت إيمانهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾. [البقرة: ١١١]، وما كان للناس أن يتبعوا بشراً مثلهم ما لم يجدوا فيه حالةَ تَفَوّق عليهم وهذا دأب الأنبياء كذلك قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]. ومن خلال استقراء التاريخ وجدنا عدة حالات ومواقف استوجبت ظهور الكرامات منها ما يأتي:

أولاً/ بعد وفاة الأمام الصادق عليه السلام ادعى ابنه عبد الله الإمامة بعد أبيه، فأمر الإمام موسى الكاظم عليه السلام بجمع حطب كثير في وسط داره، وأرسل إلى أخيه عبد الله، فلما صار إليه ومع موسى جماعة من الإمامية، أمر الإمام موسى الكاظم عليه السلام بطرح النار في الحطب فاحترق حتى صار جمرًا ولا يعلم الناس السبب في ذلك العمل حتى قام الإمام موسى وجلس بثيابه في وسط النار وأخذ يحدث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس فقال لأخيه عبد الله إن كنت تزعم إنك الإمام بعد أبيك فأجلس في ذلك المجلس، قالوا فرأينا عبد الله قد تغير لونه وقام فخرج من بيت الإمام موسى[2] .

ثانيًا/ أورد القشيري عن إبراهيم الآجري قال: جاءني يهودي يتقاضى عليَّ في دين كان له عليَّ وأنا قاعد عند الأتون، فقال لي اليهودي يا إبراهيم أرني أية أسلم عليها،

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص١٩٩ .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص٢١١ .

فقلت له تفعل، قال نعم، فقلت انزع ثوبك فلففته ولففت على ثوبه ثوبي وطرحته في النار ثم دخلت الأتون واخرجت الثوب من النار، فإذا ثيابي بحالها لم يصبها شيء وثيابه في وسطها صارت حراقة، فأسلم اليهودي(١) .

ثالثًا/ شرب خالد بن الوليد السم فلم يضره(٢) .

واليوم تظهر كرامات الأولياء مماثلة لظروف العصر ومعطياته وإيمان البشر بمستجدات العلوم العصرية وما انتجته المدنية الحاضرة من اختراعات في مجالات الطب وصناعة الكهرباء وغيرها(٣)، ونتيجة لذلك فقد أظهر المشايخ الكسنـزانيون كراماتهم لسببين :

أ- انتفاع الناس بها: كان الرسول ﷺ مناراً ومنبع بركة للمسلمين فكانوا ينتفعون بدعائه في شفاء أمراضهم وتفريج كربهم وكانوا يتبركون(٤) بأدواته ﷺ وقد ظهرت فوائد جمة للصحابة من جرّاء استعمالهم لأدوات الرسول وكانوا يستسقون به وبآله

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢٥ .

(٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، فضائل الصحابة، ت: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٣، بيروت، ج٢، ص٨١٥، وابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢٤٨، وأبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٤م، دمشق، ج١٣، ص١٤١ .

(٣) المرجع السابق، ص١٠٨ .

(٤) ففي قصة صلح الحديبية: أن عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال: « فو الله ! ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيماً له »، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: « أي قوم! والله! لقد وفدت على الملوكَ ؛ وفدت على كسرى و قيصر والنجاشي، والله ! إن رأيت ملِكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمد محمدا » . (يرمق: رمَق الشَّيءَ: نَظر إليه وأتبعه بصره وأدامه . إن رأيت ملكا قط، إن النافية: حرف نفيٍ بمعنى (ما)) . ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم: ٤٨٧٢ .

من بعده ، ولما كان المشايخ وارثي نوره ولمسته الروحية فقد ساروا على نهجه ومنحوا بركاتهم للضعفاء والمرضى ونفع الله بهم خلقاً كثيراً .

ب- إحياء السنة النبوية: نتيجة للتطور الحضاري وهجوم المدينة الحديثة بكل ما تحويه من إغراءات وتعشق للمادة ، ولتقادم العهد واتساع الهّوة بين الإسلام الحق المتمثل بالرسول ﷺ وأصحابه وبين الجيل الحديث فقد أدى إلى جعل هذا الجيل ينظر إلى الإسلام وكأنه حالةٌ قديمةٌ وأصبحت شخصية الرسول ﷺ وبطولات الصحابة شيئاً عادياً لا تثير في نفوس الشباب إلا ما تثيره أية شخصية بطولية في أدب معين وأصبح الشباب المسلم يرى في القصص والروايات والأفلام ما يجعله يتخيل أن كل ما يقرأَهُ عن الإسلام مشابه لهذه الأفكار أو بعبارة أخرى أصبح بعض الشباب المسلم يعتقد أن كُلّ ما كُتبَ عن الإسلام هو خيال كُتّاب وأن قصة التوحيد وحادثة الإسراء والمعراج ليست إلا جزءاً من أدب الجاهلية صاغته خيالات الكُتّاب كما صاغت الكوميديا الإلهية ورسالة الغفران وقصة حي بن يقظان ، ناهيك عن الألعاب البهلوانية والخدع البصرية التي يقوم بها أصحاب السيرك معتمدين على قوانين فيزيائية وكيمائية وأسس نفسية فاختلط الأمر على الشباب حتى أن المعجزة التي كانت تُعدّ أمراً خارقاً قبل أربعة عشر قرناً أصبحت الآن أمراً عادياً في نظر الجيل الجديد لما يراه من خوارق على الشاشة، أضف إلى ذلك إن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف تقوم على أساس مخالفة النفس والرغبات مما جعل الشباب الذي اعتاد إطلاق هواه ينفر منها وبذلك فلابد للمصلح الديني والمرشد الداعي إلى إحياء الدين وسنة سيد المرسلين ﷺ، لا بد له من إظهار كرامات جديدة خارقة بمستوى الحضارة في هذا الزمن ولكي يقتدي به الناس لابد من التأثير الروحي عليهم بواسطة النور الإلهي المستمد من حضرة الرسول ﷺ ، فليس ثمة فرق بين عرب الجزيرة ومجتمع اليوم من ناحية الجهل الديني ، فالكرامات هي جزء

من بركات الرسول ﷺ ولكنها بأسلوب جديد يتناسب ومتطلبات العصر الحديث والحضارة الجديدة والفكر الراقي إلى مستوى أعلى من الفكر البدوي في الجزيرة العربية قبل أربعة عشر قرناً وهي – الكرامة – المعجزة الصغرى التي يمنحها الله ﷻ لأوليائه تحقيقاً لاصطفائه لهم وتثبيتاً لقلوب مُريديهم وإقبال الناس على التوبة على أيديهم والسلوك على نهجهم الذي اختاره الله لهم وأعدهم لينهضوا بمهمة إحياء الدين ، ولقد نجح المشايخ الكسنـزانيون المؤيدون بالله في جذب الشباب الضائع من حلقة الفراغ إلى فلك الدين الإسلامي الحنيف بواسطة إظهار كراماتهم سواء في إثبات خوارق جسدية أو شفاء أمراض أعجزت الطب الحديث لذا فإن إظهار الكرامات أصبح أمراً واجباً وضرورياً للشيخ المرشد[1] .

الكرامات بعد انتقال المشايخ

الكرامة بالنسبة للولي هي حالة أو درجة وصل إليها ونالها بالتكريم الحاصل له من قِبَل الله ﷻ ولما كان الله ﷻ هو الفاعل للكرامات ومجريها على أيدي أوليائه فلا يقصد المُريد المستمد من الشيخ نسبَ الشيخ إلى القدرة على الخلق والإيجاد والاستقلال بالفعل وتحريك الأشياء وشفاء الأمراض ، إن مثل هذا الاعتقاد لا يمكن أن يصدر عن مسلم عاقل ولكن الذي يحصل هو التوسل إلى الله بجاه الشيخ قدس سره عند الله لعلم المُريد أن الشيخ صاحب حظوة عند الله وموضع تفضيل على باقي الناس ، وكرامات المشايخ في حياتهم الدنيا كثيرة وواضحة لا ينكرها إلا معاند أو سفيه وغالباً ما تكون في قضاء حوائج الناس لإرادة الله سبحانه أن ينفع البشر بهم، فهي إما أن تكون بدعائهم أو بالتوسل إلى الله بهم .

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص٢١٤-٢١٥ .

إن الكرامة تحصل بفعل الله تعالى وإرادته لا شريك له في ذلك أما الأولياء فهم محل ظهور الكرامات إذ أن الله ﷻ اختار هؤلاء الأشخاص ليكونوا محلاً لإظهار الخوارق أمام الناس بفعله وبما أن الله ﷻ حيٌّ قيّوم بدوامه تدوم هذه الكرامات وتستمر فكرامة الولي مستمرة بعد انتقاله الى عالم البرزخ[1] بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ [الكهف: ٨٢] .

المصادر والمراجع

(١) المرجع السابق، ص٢١٥-٢١٦ .